ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تعدد الفنون البلاغية في الجملة القرآنية الواحدة

دراسة بلاغية تحليلية

Multiple Rhetorical Devices in a Single Quranic Sentence: A Rhetorical Analytical Study

د. عبد الرحمن بن هلال عبد الرحمن الحربي

قسم اللغة العربية – جامعة حفر الباطن – المملكة العربية السعودية

Abdulrahman Ibn Hilal Abdulrahman Al-Harbi

Department of Arabic Language,

University of Hafr Al-Batin, K.S.A.

aralharbi@uhb.edu.sa

تاريخ استلام البحث: 10 / 7 / 2025 **تاريخ قبول البحث: 10 / 9 / 2025**

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الملخص:

تعنى هذه الدراسة بتناول جانب من جوانب البلاغة القرآنية الفريدة، حيث يتجلى تعدد بعض الفنون البلاغية في بعض الجمل القرآنية؛ فلا تكاد تقف على تركيب جملة من الجمل القرآنية إلا وتجد فيه مجموعة متعددة من فنون أبواب البلاغة المختلفة.

فقد وقفت الدراسة على جمل قرآنية لا يخلو كل منها من أحد أساليب الخبر أو الإنشاء –مثلا– والوصل أو الفصل، والمجاز العقلي والمجاز اللغوي بنوعيه: المجاز المرسل والاستعارة، وكذلك الكناية وأساليبها المختلفة؛ كالإشارة والإيماءة، علاوة على ما فيه من أساليب البديع المختلفة كالطباق والجناس والفاصلة القرآنية وغير ذلك.

كما وقفت الدراسة على جماليات بلاغية أخرى في الجملة القرآنية قد تكون متكررة في كل تركيب؛ كجماليات النظم، وجماليات الجرس الصوتي، وما ينتج عن استعمال بعض الكلمات ذات السمات الخاصة في حروفها، أو ما ينتج عن تكرار بعض الكلمات أو التراكيب وغير ذلك.

وقد جلى ذلك عن ثراء الجملة القرآنية، واتساعها الدلالي، واحتمالها ألوانا بلاغية في علوم البلاغة الثلاثة المختلفة، إضافة إلى اشتمال أسلوبه في بعض مواضعه على أدوات وتقنيات الحجاج للتأثير تأثير والإقناع، لا سيما حينما يكون الأسلوب مشتملاً على التوجيه والنصح والإرشاد.

وقد جعلت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث؛ جاء في المبحث الأول ما اشتمل على فنين بلاغيين. وجاء في المبحث الثاني ما اشتمل على ثلاثة فنون بلاغية. وجاء في المبحث الثالث ما اشتمل على أكثر من ثلاثة فنون بلاغية. ثم الخاتمة وثبت المراجع. وقد تناولت تحليل جمل قرآنية للوقوف على الجوانب البلاغية المتعددة، ثم تعداد هذه الفنون البلاغية المختلفة.

الكلمات المفتاحية. الجملة، التعدد البلاغي، الاتساع الدلالي، البلاغة القرآنية.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

Abstract:

This study examines a distinctive aspect of Qur'anic rhetoric, specifically the multiplicity of rhetorical devices within certain Qur'anic sentences. It explores how various rhetorical devices coexist within a single sentence, making almost every Qur'anic expression a rich field of rhetorical diversity.

The study identifies Qur'anic sentences that invariably contain elements of declarative and imperative styles, as well as coordination and juxtaposition. Furthermore, it analyzes both linguistic and cognitive metaphors, including types such as synecdoche and allegory. It also delves into various forms of allusion, such as explicit and implicit references, alongside eloquent rhetorical embellishments like antithesis, paronomasia, and Qur'anic cadence.

Moreover, the study highlights other rhetorical aesthetics that recur in Qur'anic expressions, including structural beauty, rhythmic harmony, phonetic resonance, and the impact of certain words characterized by distinctive phonetic attributes. It also examines the rhetorical effects produced by the repetition of specific words or constructions. These observations underscore the richness of the Qur'anic sentence, its expansive semantic depth, and its ability to embody multiple rhetorical dimensions across the three branches of Arabic rhetoric. Furthermore, Qur'anic style inherently integrates elements of argumentation, persuasion, and emotive appeal—especially in contexts of instruction, guidance, and admonition.

The study is divided into an introduction and three main sections: the first section explores sentences containing two rhetorical devices, the second analyzes sentences with three rhetorical devices, and the third investigates sentences featuring more than three rhetorical devices. Finally, the study concludes with a summary and a bibliography, incorporating an analytical approach to Qur'anic sentences to reveal their multiple rhetorical facets.

Key words: sentence, rhetorical multiplicity, semantic breadth, Qur'anic rhetoric.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله عليه أفضل الصوات وأزكى التسليم، أما بعد:

فمن سمات البلاغة العربية الإبداعية إمكانية تعدد فنونها في الجملة الواحدة والتعبير البياني الواحد، بما يوحي إلى خصوبتها وسعتها، وتعدد مستوياتها الدلالية؛ بما يومئ إلى طاقاتها الكامنة المؤدية للمعاني، وذلك لأجل الوصول إلى أدق المعاني، وأقوى الدلالات.

وإنه لمن جمال البلاغة العربية أن تجد في الجملة البليغة الواحدة عدة مستخلصات بلاغية، ولربما اجتمع في الجملة الواحدة شيئًا من فنون علم المعاني، وشيئًا من فنون علم البيان، وشيئًا من فنون علم البديع؛ بما يوحي إلى الاتساع الدلالي للجملة العربية الواحدة، واحتمالها دلالات بيانية وبديعية متنوعة.

وحينما نطرق باب البيان القرآني نجده مليئًا بمثل هذه التعبيرات التي تتعدد فيها الفنون البلاغية، والتي يمكن أن يظهر فيها أكثر من فن بلاغي في آن واحد؛ ومن هنا فستتناول هذه الدراسة محاولة الوقوف على بعض هذه التعبيرات ودراستها وتحليلها، ومن ثم محاولة الوقوف على الجوانب الدلالية والبيانية والبديعية التي تظهر فيها، مع محاولة إبراز سمات التعبير القرآني فيها، ولن تسطيع الدراسة أن تحيط بكل التعبيرات القرآنية ولا بكل ما فيها من فنون بلاغية متعددة، ولعل في جهد المقل ومحاولة أخذ القليل المستطاع خير من اليأس والترك.

وقد لاح للدارس أن الجملة القرآنية الواحدة ذات اتساع بياني؛ فقد تأتي مشتملة على عدة فنون بلاغية من شتى أبواب البلاغة المختلفة؛ فربما جاء فيها مجاز عقلي، واستعارة مثلا، أو تشبيه وكناية أو إشارة بيانية، علاوة على ما يحويه من جوانب بديعية أخرى: كالفاصلة القرآنية، أو المقابلة أو الطباق، وغير ذلك.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المبحث الأول: مما اشتمل على فنين بلاغيين

لا شك أن أي جملة في البيان القرآني لا تخلو من فنون بلاغية متعددة؛ ولا أعتقد أنه من المبالغة القول بأن الجملة القرآنية يفوق ما فيها الفن البلاغي الواحد، بل إن الجملة القرآنية تبدأ متعددة الفنون البلاغية، وبما يفوق التوقع، حتى حينما نقف على الجملة القرآنية الواحدة التي نظن أنها مشتملة على فنين بلاغيين، إنما قصر علمنا عن كشف كل ما تحويه من فنون بلاغية أخرى متعددة.

ومن هنا فقد جاءت مواضع كثيرة من البيان القرآني يظهر أنها مشتملة على فنين بلاغيين، منها ما جاء في قوله تعالى:)وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا) [سورة البقرة:143]؛ حيث اجتمع في لفظ (وَسَطٗا) التورية والكناية؛ فالتورية بوجود معنين؛ الأول قريب ظاهر غير مراد؛ وهو التوسط الذي هو بمعنى الوسطية بين الأمم، والآخر بعيد مراد؛ وهو التزكية بالخيرية والثناء بالعلم والعمل وعلو المكانة. وأما الكناية في الوسط فعن تحقق العدالة، فكأنه الميزان الذي لا يحابي أحدًا. (درويش ، 1415هـ، 1/ 203).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ) [سورة البقرة:143]؛ فقد اجتمع في قوله تعالى: (مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ) الاستعارة التمثيلية والمجاز المرسل؛ فجاءت الاستعارة التمثيلية في تشبيه من يرتد عن الإسلام بعد إسلامه بمن يتقهقر ويسير إلى الخلف بعد التقدم.

وجاء المجاز المرسل بمعنى أنه أطلق الحال وأراد المحل؛ وهو سوء المآل والمصير(درويش ، 1415هـ، 203/1). وقد جاء مثل هذا التركيب في موضعين آخرين من البيان القرآني؛ الأول في قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا) [سورة آل عمران:144]، والآخر في قوله تعالى: (فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ) [سورة الأنفال:48].

واجتمع التشبيه المقلوب وإيجاز القصر في قوله تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ) [سورة البقرة:275]؛ فالتشبيه المقلوب جاء بتشبيه الأصل –وهو البيع– بالطارئ –وهو الرباء – فعمد هؤلاء إلى ذلك مبالغة في إثبات صحة ادعائهم بعدم تحريم التعامل بالربا.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وجاء القصر الإضافي بـ(إنما) لغرض إيجاز القول، ومحاولتهم الفصل فيه، والقطع في صحة الادعاء، مع الإنكار على المخاطبين المعارضة.

ومنه اجتماع الاستعارة مع الإشارة، كما جاء في قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ) [سورة الأنعام:68] ففي (يَخُوضُونَ) استعارة مكنية؛ حيث شبهت الآيات بالماء وحذف المشبه به وإبقاء لازمه وهو الخوض الذي هو صفة من صفات العبث بالماء. وفي إسناد فعل (الخوض) إليهم إشارة تقبيح جرأتهم على آيات الله، وعدم احترام قدسيتها. وقد وردت آيات مشابهة، وقريبة مما سبق؛ منها ما جاء في [التوبة:٦٥]، وفي [التوبة: ٦٩]، وفي [المدثر:٤٥]، وفي [الطور: ١٢].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩) [سورة التوبة:109]؛ ففي قوله تعالى: (أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ) تشبيه تقوى الله ورضوانه بالقاعدة القوية الثابتة التي يعتمد عليها في إرساء البنيان، وحذف المشبه به وأبقى لازمه وهو تأسيس البنيان على طريق الاستعارة المكنية، وهو من قبيل تشبيه الأمر المعنوي بالمحسوس. وفيه الإشارة إلى صحة المعتقد، وثبات الإيمان. وكذلك حال الجانب المقابل مما جاء في قوله تعالى: (أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ)؛ ففيه تشبيه فقدان تقوى الله، وعدم امتثال أوامره، واجتناب نواهيه بالقاعدة الضعيفة الواهية التي يسقط بنيانها وينهار فيهلك من بداخله، فحذف المشبه به وأبقى لازمه على طريق الاستعارة المكنية. وفيه الإشارة إلى فساد المعتقد، وانعدام الإيمان.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ) [سورة يونس:24]؛ ففيه استعارة مكنية؛ حيث شبه الأرض بالعروس التي تتزخرف بالحلي، وتتزين بالثياب الفاخرة.

وفي إزّيّان الأرض وأخذها زخرفها مجاز أشار إلى المبالغة في إفادة تكاثر أصناف نباتاتها، واكتمال نموه، ونضوج ثمره، وبلوغه غاية النفع والفائدة، مع بداعة المنظر وجماله.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومنه اجتماع المجاز المرسل مع الإيجاز بالحذف؛ كما في قوله تعالى: (تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ) [سورة يونس:9]، فنجد المجاز المرسل في جري الأنهار، وعلاقته المحلية، على اعتبار أن المراد بالأنهار المجرى. كما أن فيه الإيجاز بالحذف؛ إذ المراد جريان الأنهار من تحت قصورهم.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ) [سورة طه:131]؛ ففيه استعارة بتشبيه النظر باليد التي تُمد إلى ما تشتهيه النفس، وحذف المشبه به، وأبقى لازمه وهو المد، على سبيل الاستعارة المكنية.

ولعل في نهي النبي ﷺ عن مد عينيه إلى ما في أيدي الكفار من زهرة الحياة الدنيا تعريضًا بزواله عنهم، وعدم بقائه لهم، وإنما هو لفتنهم به، ويعضد هذا التعريض أن ما أوتي النبي ﷺ من العلم والحكمة أو من نعيم الآخرة هو أفضل منه وأدوم، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا) [سورة الفرقان:12]؛ ففيه استعارة مكنية بتشبيه جهنم بمن يغتاظ وتظهر عليه علامات الغضب، ويرغب بالانتقام، وحذف المشبه به وأبقى من لوازمه وهو التغيظ والزفير.

وفيه الإشارة إلى الإبلاغ في وعيدهم وتهديدهم بإيقاع أشد العقوبة بهم، وبالتالي وقوع الرعب في قلوبهم كلما سمعوا تغيظها وزفيرها، فيزداد عذابهم النفسي قبل عذابهم الجسدي. وقريب منه ما جاء في قوله تعالى: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ) [سورة الملك:8].

ومنه اجتماع المجاز مع البديع؛ كما جاء في قوله تعالى: (وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ) [سورة يس:37]؛ فقد اجتمعت فيه الاستعارة مع بديع الطباق؛ فجاءت الاستعارة في لفظ (السلخ) بتشبيه الليل بالذبيحة التي يسلخ منها السالخ جلدها، وحذف المشبه به وأبقى لازمًا من لوازمه وهو السلخ. كما طابق بين الليل والنهار المتضادين.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ) [سورة الزخرف:18]؛ ففيه الكناية عن الأنثى. وفيه خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر؛ فلم يكن مراده البحث عن جواب، وإنما قصد الإنكار على الكفار الذين ادعوا لله البنات؛ كأن قيل: كيف تنعتون لله مَن كانت هذه صفاته؟

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا) [سورة فاطر:9]، ففي هذا الموضع جعل الربيع الذي يكسو الأرض بنباته وشجره وثمره حياة لها على سبيل المجاز؛ ففيه استعارة بحيث شبه الأرض وهي جامدة بالكائن الحي الذي يحيى ويموت، وحذف المشبه به، وأبقى قرينة الحياة الدالة عليه على سبيل الاستعارة المكنية، وجاء ذكر الموت بعد الأحياء ليؤكد دلالة المجاز بهذه الاستعارة. كما أن فيه من جهة البديع الطباق بين الحياةو الموت.

ومنه اجتماع الاستعارة مع الكناية كما جاء في قوله تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ) [سورة الحاقة:11]؛ ففيه الاستعارة بتشبيه الماء بالظالم المتكبر، وحذف المشبه وأبقى لازمه وهو الطغيان على طريق الاستعارة التبعية.

وفيه الكناية؛ حيث كنى عن السفينة بلفظ (الجارية)؛ للإشارة إلى عظيم قدرة الله ﷻ، والعبرة في جريها على الماء وهي من ألواح ودسر.

وفي قوله تعالى: (وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ) [سورة التكوير:17]، أثر عن ابن عباس أن (عَسۡعَسَ) يدل إقبال الليل وإدباره، وبذا فهو من الأضداد. ونُقل عن بعض المفسرين أنه بمعنى إقبال الليل، وقال آخرون هو بمعنى إدبار الليل. وقيل عسعسة الليل وعساسه هي رقة الظلام في طرفي الليل؛ وبذا فهو من المشترك اللفظي (الألوسي، 1415هـ ، 262/15) لدلالته على أكثر من معنى.

وتعدد المعاني للفظة الواحدة فن بلاغي سماه صاحب إعراب القرآن وبيانه بـ(الاتساع) وعرفه بقوله: "وهو أن يأتي المتكلم بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه، فيتّسع التأويل فيه على قدر عقول الناس وتفاوت أفهامهم" (درويش ، 1415هـ، 10/ 400). وهو من الفنون التي انفردت فيها بلاغة القرآن الكريم.

وفي عسعسة الليل بإقباله وإدباره استعاره مكنية؛ حيث شبه الليل بإنسان يقبل ويدبر، وحذف المشبه به وأبقى لازم من لوازمه وهو لفظ العسعسة الدال على الإقبال والإدبار. (درويش ، 1415هـ، 10/ 400)

وفي قوله تعالى: (وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ) [سورة التكوير:18]، استعاره تبعية مكنية؛ بتشبيه الصبح بالكائنات الحية المتنفسة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وجعل فيه صاحب التحرير والتنوير استعارة تصريحية بتشبيه خروج ضياء الصباح بخروج النفَس (ابن عاشور، 1984، 154/30). والذي يظهر أن تنفس الصباح إشارة إلى ظهور ضيائه.

وهذا النوع من تعدد الفنون البلاغية كثير في البيان الرباني، ويحتاج إحصاؤه إلى دراسة مستفيضة مستقلة.

المبحث الثاني: مما اشتمل على ثلاثة فنون بلاغية

من الجمل القرآنية التي قد يظهر للمتمعن أنها اشتملت على ثلاثة فنون بلاغية ما جاء في قوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ) [سورة البقرة:16]؛ ففي إجراء اختيار الضلالة على الهدى مجرى الاشتراء والبيع استعارة تبعية مكنية؛ بتشبيهه ذلك الإجراء بالمقايضات التجارية، ثم حذف المشبه به وكنى عنه بالاشتراء ورشحه بالخسران وانتفاء الربح.

وفيه إشارة تقريع هؤلاء على ضلالهم، وانحراف عقولهم، إذ كانوا قادرين على اختيار الهدى ومجانبة الضلال، ولكنهم لم يفعلوا.

وجعل ابن عاشور في لفظ الاشتراء هنا مجاز مرسل بعلاقة اللزوم، حيث أطلق الاشتراء على لازمه الثاني؛ وهو الحرص على شيء، والزهد في ضده؛ أي حرصوا على الضلالة، وزهدوا في الهدى، إذ ليس في ما وقع من المنافقين استبدال شيء بشيء إذ لم يكونوا من قبل مهتدين.(ابن عاشور، 1984، 299/1)

وجاء في قوله تعالى: (فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ)، مجاز عقلي، حيث أسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي على سبيل التجوز، فجاء إسناد الخسران إلى التجارة، وهي للمشترين المتاجرين وليس للتجارة؛ فأسند فعل (ربحت) إلى الفاعل (التجارة) التي لها علاقة الملابسة بالفاعل الحقيقي (ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ).

وقد يحتوي هذا التركيب على الاستعارة التمثيلية؛ وذلك بتشبيه خسارتهم بتفويت الفوائد الجمة المترتبة على الهدى –التي هي مثل الربح– وإضاعة الهدى –الذي هو كرأس المال– شبهه بخسارة المتاجر الذي فاته الربح في تجارته لسوء اختياره البضاعة، ووقع في أشنع الخسارات، فأضاع رأس المال، وقد كان يرجو الربح. (الألوسي، 1415، 164/1)

وفيه كناية؛ حيث كني بنفي الربح عن الخسارة؛ لأن فوات الربح يستلزمها. وفائدة هذه الكناية توكيد انتفاء قصد التجارة، وحصول ضده، ولذا كان نفي الربح إثباتا للخسارة، وقد قامت القرينة هنا على الخسران، لقوله

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تعالى: (وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ)، وقد جعله غير واحد كناية عن إضاعة رأس المال، إذ إن من لم يهتد بطرق التجارة تكثر الآفات على أمواله، واختير طريق الكناية نكاية لهم بتجهيلهم وتسفيههم. (الألوسي، 1415هـ ، 164/1 وغيره)

ثم جاء هذا البيان –أيضًا– متضمنًا لترشيح الحقيقة الأصلية المستعار لها، وذلك في قوله تعالى: (وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ) فان التعبير هنا جاء مجرد عن الاستعارة، إذ لو قيل: (أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين) لكان الكلام حقيقة لا مجاز فيه. (الزمخشري، 1407 هـ ، 638/2)

وقد يكون في قوله تعالى: (وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ) دلالة ترشيح للاستعارة؛ أي وما كانوا مهتدين الى طريق التجارة السليمة، في إشارة إلى أن الغاية من التجارة بقاء رأس المال مع تحقق الربح، وإن فات الربح في تجارة فقد يتدارك في تجارة أخرى، لبقاء رأس المال، وأما تلف كل المال بالمرة فليس من التجارة في شيء، وهؤلاء أضاعوا الغايتين، فغدوا خاسرين الربح، فاقدين رأس المال، مجانبين طريق التجارة. (الإستانبولي، 64/1)

وقد يكون قوله: (وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ) من باب التكميل والاحتراس؛ بمعنى أنه عطف على (ما ربحت) للقرب مع التناسب والتفرع باعتبار المعنى الكنائي، وبتقدير المتعلق لطرق الهداية، فيندفع توهم أن عدم الاهتداء قد فهم مما قبل، فيكون تكرارا لما مضى. أو قد يكون من باب التتميم. (الألوسي، 1415 هـ ، 64/1)

وفي كلٍّ تعريض بسوء صنيعهم، ومكابرتهم وإعراضهم عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه من باب البديع الطباق بين الضلالة والهدى.

وفي هذين الموضعين نجد أن كل موضع قد اشتمل على الأقل –فيما يبدو– على ثلاثة فنون بلاغية؛ فاشتمل الموضع الأول على الاستعارة والإشارة والمجاز المرسل. واشتمل الموضع الثاني على المجاز العقلي واستعارة وكناية؛ وفي ذلك إشارة بينة ودلالة ظاهرة إلى ثراء البلاغة القرآنية واتساعها.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ) [سورة البقرة:10]؛ ففيه استعارة، حيث شبه ما اتصفوا به من نفاق وسوء اعتقاد بما يعتري الأبدان والنفوس من علل وأمراض، وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وفيه التقديم والتأخير؛ حيث قدم الجار والمجرور المتعلق بالخبر المحذوف وأخر المبتدأ لبيان أهمية القلوب في شأن صحة الاعتقاد، وأثرها في فعل الانقياد للحق. وجيء بلفظ (مَّرَضٌ) نكرة لتعظيم خطره، وتهويل شأنه، والإشارة إلى أنه علة إعراضهم عن الحق.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ) [سورة البقرة:81]، ففي التركيب الاستعارة بالكناية بتشبيه الخطيئة بالعدو الذي يتربص بعدوه ثم يدركه فيحيط به ويوثقه.

وفي إحاطة الخطيئة إشارة تهويل بحلول الخطر، وإثبات وقوع الهلاك، وتأكد حصوله، مع ما فيه من لماحات الوعظ والإرشاد، والتحذير من خطر الخطيئة، وسوء مآلاتها.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ) [سورة البقرة:171]؛ ففيه التشبيه المركب الماثل. وفيه الإشارة إلى عنادهم وعدم استجابتهم للدعوة إلى الحق. وفيه الإيجاز بحذف المضاف إلى (وَمَثَلُ)؛ قدره صاحب إعراب القرآن وبيانه بـ: مثل داعي الذين كفروا.(درويش ، 1415هـ، 240/1)

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ) [سورة الأعراف:154]؛ ففيه استعارة مكنية بتشبيه الغضب بالإنسان الذي يتكلم ويسكت. وفي سكوت الغضب إشارة إلى ذهابه. وفيه التقديم والتأخير بتقديم الجار والمجرور المتعلق بالفعل وتأخير الفاعل، وذلك للعناية بالمقدم هو موسى، والإشارة إلى أنه هو المعني بالحديث.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ) [سورة الأنبياء:18]؛ ففيه استعارة بتشبيه الحق -وهو أمر معنوي- بالشيء المحسوس كالحجر أو الشيء الذي له جسم، وحذف المشبه به أبقى لازمًا من لوازمه وهي صفة القذف والدمغ على سبيل الاستعارة المكنية. وفيه من فنون البديع المطابقة بين الحق والباطل. وفيه الإشارة إلى إقامة الحجة والبرهان بالحق على أهل الباطل والضلال.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ) [سورة الشعراء:225]؛ ففيه استعارة مكنية بتشبيه المعاني التي يطرقها الشعراء ادعاءً وكذبًا –من مديح وهجاء وفخر وغيره– بالأودية، وحذف المشبه وأبقى لازمه وهو الهيام في الأودية.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وجعل فيه ابن عاشور استعارة مكنية أخرى بتشبيه حال هؤلاء الصنف من الشعراء بحال الإبل المتحيرة بين الرعي في الأودية والرعي في الربى بعد اضمحلال عشب الربى الأجود عشبًا، فتجدها تارة تهبط إلى الوادي وتارة ترتقي إلى الربى، فكذلك حال هذا الصنف من الشعراء في حرصهم على ما يؤثر في نفوس السامعين، وحرصهم على المعاني المجتلبة كمثل حال هذه الإبل المتحيرة بين المرعيين. (ابن عاشور، 1984، 209/19)

وفيه إشارة ذم الشعراء الذين يطرقون باب كل معنى من غير قصد للحقيقة، وتقبيح لشعرهم. ولعل في تشبيه الشاعر بالهائم الإشارة أخرى مفادها السير إلى غير وجهه، فالهائم على وجهه هو السائر إلى غير قصد، وهو كالخوض في المعاني بلا روية ولا تثبت.

وهو كسابقه كثير في البيان الرباني، ويحتاج إحصاؤه إلى دراسة مستفيضة مستقلة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المبحث الثالث: مما اشتمل على أكثر من ثلاثة فنون بلاغية

ومن المواضع المحتملة لعدة فنون بلاغية تفوق الثلاثة ما جاء في قوله تعالى: (إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ) [سورة آل عمران:140]؛ ففيه استعارة تصريحية؛ حيث شبه الهزيمة بالقرح الذي يصيب الجسد وحذف المشبه. وفي لفظ القرح التكنية عن الثلمة التي حصلت للمسلمين في يوم أحد.

وفيه التقديم؛ حيث قدم المفعول به على الفاعل للعناية به والاهتمام؛ وللإشارة إلى أنه هو مدار الأمر، ومراد الكلام –وهو إثبات هزيمة القوم– وفي إيراد هذا الخبر التكنية عن تسلية المؤمنين من ألم وحزن هزيمة يوم أحد بتذكيرهم بهزيمة الكفار يوم بدر.

وفي هذا الموضع إيجاز بالحذف؛ حيث حذف جواب الشرط، وفهم معناه من سياق الآية؛ فقوله تعالى: (إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ) أداة الشرط وفعله، ويفهم جوابه من قوله تعالى: (فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ)، وهو أن يكون مراد القول كله تسلية المؤمنين؛ ليكون تقدير جواب: (إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ): فلا تهنوا أو لا تحزنوا.(ابن عاشور، 1984، 99/4)

كما في هذ الموضع جمال الإيقاع الصوتي الناتج عن تكرار الفعل والفاعل في جملتي الشرط. وكذلك عذوبة الصوت الناجمة عن إيقاع الشرط بتصدير فعله بـ(إن) وتصدير جوابه بالفاء الواقعة في جواب الشرط. وكذلك تولد جمال الصوت باشتمال الفعل على حرف السين مكررًا في الجملة الأولى وغير مكرر في الجملة الثانية.

ومن تعدد الفنون البلاغية ما جاء في قوله تعالى: (أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا)[سورة الأنعام:122]؛ فالإحياء والإماتة مجاز في العلم والجهل، وأن المقصود تفاوت ما بين الحالتين؛ بين من أحياه الله تعالى بالعلم، وبين من بقي غارقًا في غياهب الجهل. (العلوي، 1423 هـ ، 184/3)

فاستعار الحياة للهداية والموت للضلال، مع ما فيه من إيماء إلى تقبيح الكفر والضلال بما هو مكروه وغير مرغوب فيه وهو الموت الذي يفر منه كل عاقل، ويقابل ذلك تطييب الهداية وإعلاء قيمتها بتشبيهها بالحياة التي هي مطلب كل عاقل.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وفيه من جميل البديع الطباق الحقيقي بين الموت والحياة، والطباق المجازي المستعار له بين الهدى والضلال، والتعبير بالشيء وضده من أجلّ التعبيرات التي تعمل على إيقاف المتلقي على جليل محاسن الأمر الحسن، وإيقافه على عظم مساوئ النقيض.

وفيه بلاغة الإقناع؛ بتشبيه الهداية بالحياة، وتشبيه الضلال بالموت، ليرجع العقل بعد ذلك مقتنعًا، باختيار النجاح والفلاح، والفرار من كل ما من شأنه الهلاك والموت. ولعل في مجي الأسلوب على صيغة الاستفهام التعجبي المبني على المقارنة بين النقيضين تأكيد لأسلوب الإقناع بسلوك طريق النجاح والفلاح واجتناب طريق الموت والهلاك.

وفي مجيء الأسلوب على صيغة الإنشاء الطلبي (الاستفهام) فيه إثارة لشعور المتلقي، ولفت انتباهه، وإشعاره بأهمية الأمر، وفيه –أيضا– إيقاظ الحواس لاستشعار ألطاف الله تعالى بالإنقاذ من الهلكة، والامتنان بالإنجاء بالهداية إلى الإيمان، ولم يكن هذا الإبلاغ بهذه الدقة الدلالية لولا استعمال أسلوب الإنشاء الطلبي المبني على الاستفهام، المشوب بالمقارنة بين النقيضين لتتجلى الصورة المتباينة بينهما ومن ثم حصول الغاية والمقصد من هذا التعبير.

كل ذلك احتمله هذا الموضع القرآني –مع ما قصر دونه العقل– ليدل على الاتساع الدلالي الخصب للنص القرآني علاوة على إبداع النظم، وجمال الأسلوب وتلاؤم التركيب، وحسن الجرس.

وقريب منه ما جاء في قوله تعالى: (كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ) [سورة إبراهيم:1]؛ ففيه استعارة بتشبيه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور، وحذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة الأصلية التصريحية، هذا من جانب البيان. ولعل في إسناد فعل الإخراج إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– كناية عن التبليغ والتبيين.

وقد يكون في التعبير عن الكتاب بصيغة النكرة لتعظيمه، ولأنه واقع في معنى المعرفة، وربما أُثر التعبير بالجملة الإسمية دون الجملة الفعلية لتأكيد دوام مكانته وثبات عظمته، ولعل في مجيء لفظ الكتاب نكرة وتكرير ذكره بالضمير المتصل العائد عليه تأكيد لهذه العظمة والمكانة. وفيه من جانب البديع الطباق؛ حيث طابق بين الظلمات والنور حقيقة، وبين الكفر والإيمان مجازًا.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

كما اشتمل الموضع على دلالة التعليل؛ بمعنى أن إنزال الكتاب على النبي ﷺ سبب في هداية الناس، وإشارة إلى تضمن هذا الكتاب لأسباب الهداية، كما أن فيه إثباتًا بأن هداية الناس هي مراد الله ﷻ.

كما أن في إثبات إنزاله على النبي ﷺ وتأكيد ذلك باسم الإشارة (إِلَيْكَ) إشارة تشريف للنبي ﷺ وتعظيم له، وتأكيد بأن منزِّله هو رب العالمين، وأنه منزَّل على نبيه ﷺ بمعنى الإنكار على كل من ادعى أنه من عند غير الله تعالى، أو أنه منزَّل على غير رسول الله ﷺ، وسدًا لأي ادعاء آخر من غير ذلك. وفي معنى الإنزال إشارة إلى علوية المنزِّل، وفي تضمنه ضمير الجمع إشارة تعظيم.

وربما يكون في لفظ الإخراج استعارة؛ بأن شبهه بالنقل من الطريق المظلمة المهلكة إلى الطريق النيرة المنجية؛ فكأنه تحويل لهم من حال إلى حال. وجاء التعبير بعده بلفظ (ٱلنَّاسَ) الدال على العموم مع التعريف ليؤكد أنها رسالة عامة وشاملة لأمته ﷺ من عرب وعجم.

وفي تشبيه الكفر بالظلمات إشارة بيانية دقيقة عميقة، تومئ إلى عظيم خطره، وشديد ضرره؛ فلك أن تتخيل حالك وأنت تسير في طريق مهلكة، طويلة مظلمة، حالكة السواد، لا تبصر فيها يدك، ولا ترى موضع قدمك، ولا تعلم ما فيها من وعر المسالك، ولا شديد المهالك، ولا ترى جبالها الشاهقة، ولا أوديتها الهابطة، ولا ما فيهما من أخطار الهوام والسوام، ولا تربص الضباع والسباع، فكيف ستكون حيرتك آنذاك، وقد حكم عليك بالمسير، فهل ستسلم من هذه الأخطار؟ وتنجو من هذه المهالك؟ كلا والله، وإن الهلاك لواقع لا محالة، فكذلك هو الحال مع الكفر، فالنتيجة واحدة، والخاتمة مشينة. ثم لك أن تقارن –بعد ذلك كله– من يسير وطريقه منيرة، ودربه مضيئة، يرى فيها موطئ قدمه، ويمد بها طويل بصره، ويعلم اتجاهه وهدفه، وغايته ومقصده، ومعه من السائرين من يحثه ويشوقه، فكذلك هو الإيمان بالله ورسوله، وتباع الهدى المشبه بالنور الذي لا ظلمة معه.

وجيء بلفظ الظلمات على صيغة الجمع للمبالغة في تراكم ظلمتها؛ قال تعالى: (ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ) [سورة النور:40]، والإشارة إلى أن طرق الشرك ومزالق الكفر والغواية كثر. وجاء لفظ النور مفردًا للدلالة على أن طريق الإيمان واحدًا؛ وهو توحيد الله بالعبادة، والنطق به مفردًا أخف من النطق به مجموعًا.

وجاء التعبير بصيغة الخبر الابتدائي للإشارة إلى امتنان الله ﷻ على هذه الامة، بنعمة إنزال هذا الكتاب الحجة البينة، والدليل الأكيد على نبوة الرسول محمد ﷺ، وبيان وضوح هذه النعمة وجلائها للقاصي والداني،

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وبالتالي لا حاجة إلى تأكيد هذا الخبر. كما إن فيه الإشارة إلى وقوع عامة القوم بظلمات الكفر، وسقوطهم بغياهب الشرك.

ومن مواضعه ما جاء في قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ) [سورة إبراهيم:24-25]؛ ففيه الإنشاء الطلبي وهو الاستفهام التقريري، وغرضه لفت الانتباه، والتشويق لمعرفة المثل المضروب.

وفي إسناد ضرب المثل إلى اسم الجلالة إشارة إلى الوحي المنزل إلى نبيه ﷺ لإخباره بهيئة وحال هذا المثل المضروب. وفي التعبير بلفظ (كَلِمَةٗ) وإرادة جملة الكلام مجاز مرسل، علاقته الجزئية؛ حيث أطلق الجزء وأراد الكل. ومنهم من فسرها بكلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) (الألوسي، 1415 هـ ، 164/1 وغيره)؛ ومن هنا فيكون في لفظ (كَلِمَةٗ) التكنية عن شهادة التوحيد.

وفي نعت الكلمة بالطيبة استعارة؛ حيث شبه الكلمة المنطوقة أو المسموعة بالشيء الذي له جسم، والمشموم منه الرائحة الزكية. وفي نعت الشجرة بالطيبة استعارة لإرادة النفع بها، وتشبيهها بمن يملك إرادة النفع. وفي تشبيه الكلمة الطبية بالشجرة الطيبة إشارة إلى جامع النفع بينهما.

وفي قوله تعالى: (تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ) استعارة بتشبيه الشجرة بمن يعي ويعقل فيؤتي الثمر بنظامه المحدد، ووقته المعروف.

وفي لفظ الشجرة الطيبة كناية عن النخلة؛ حيث روى ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "أَخْبِرُونِي بشَجَرَةٍ مَثَلُها مَثَلُ المُسْلِمِ، تُؤْتي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها، ولا تَحُتُّ ورَقَها". قال ابن عمر ﷺ :فَوَقَعَ في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَكَلَّمَ، وثَمَّ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّما، قالَ النبيُّ ﷺ : "هي النَّخْلَةُ". فَلَمَّا خَرَجْتُ مع أبِي قُلتُ: يا أبَتاهُ، وقَعَ في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، قالَ: ما مَنَعَكَ أنْ تَقُولَها، لو كُنْتَ قُلْتَها كانَ أحَبَّ إلَيَّ مِن كَذا وكَذا، قالَ: ما مَنَعَنِي إلَّا أنِّي لَمْ أرَكَ ولا أبا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُما، فَكَرِهْتُ.(البخاري، 6144. ومسلم، 2811)

ولعل في قوله تعالى: (أَصۡلُهَا ثَابِتٞ) إشارة إلى شدة رسوخ جذورها في الأرض، والإشارة في قوله تعالى: (وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ) إلى تميزها بشدة ارتفاعها.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وفيه –أيضا– إجمال وإطناب؛ حيث أوجز في ذكر الشجرة الطيبة، في قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ)، ثم جاء الإطناب لإيضاح وصف هذه الشجرة الطيبة بقوله تعالى: (أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ) [سورة الحجر:94]، فقد جاء التركيب على صيغة الأمر الحقيقي الملزم بالتنفيذ. وفيه الاستعارة الظاهرة في لفظ الصدع المتعلق بالأشياء الصلبة كالزجاج والفخار وغيرهما؛ فشبه الجهر بتبليغ الرسالة وما يترتب عليه بكسر الزجاج أو الفخار، وحذف المشبه به وأبقى لازمه وهو الصدع المتعلق بالمشبه به المحذوف. وفيه الكناية عن الجهر بتبليغ الرسالة، وإعلان الدعوة إلى التوحيد في الملأ.

كما اشتمل هذا التركيب البديع على بلاغة الإيجاز بالحذف في ثلاثة؛ فقد أُبهم مضمون أمر الفعل (تُؤۡمَرُ)، ولم يسمَّ فاعله، وحذف متعلقه.

ففي إبهام الفعل المصدوع به والتكنية عنه بالأمر إشارة إلى تعظيم شأنه، مع الإيماء إلى جلائه ووضوحه للمخاطب. وفي عدم تسمية فاعل الفعل (تُؤۡمَرُ) إشارة إلى تعظيمه، وإيماء إلى بلوغ معرفته واشتهاره عدم الحاجة إلى التصريح به. وفي حذف متعلق الفعل (تُؤۡمَرُ) إشارة إلى الشمول والتعميم لكل ما يؤمر به النبي ﷺ. فاشتمل هذا التركيب المكون من ثلاث كلمات على إيجاز بديع تستوعبه عدة صفحات.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨) [سورة يس:8]؛ ففيه استعارة بأن شبه عنادهم وإصرارهم على الكفر بمن كانت رقبته مغلولة فثبت بها رأسه، فلا يلتفت برأسه، ولا يستطيع تحريكه. وفي ذلك إشارة إلى عدم التفاتهم إلى الحق، وعدم سماعهم النصح.

وجاء تقديم الجار والمجرور المتعلق (فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ)على المفعول للعناية والاهتمام، والإشارة إلى أن المقدم هو المراد بالكلام والمعني به.

وجعل فيه صاحب إعراب القرآن وبيانه فن القلب؛ وهو أن المقصود جعل أعناقهم في الأغلال.(درويش ، 1415هـ، 178/8) وجاء لفظ (الأغلال) نكرة لتعظيم شأنها، وتهويل أمرها.

وجاء هذا الأسلوب على هيئة الخبر الطلبي لإزالة العجب من عنادهم وإصرارهم على الكفر، وعدم تصديقهم الرسول ﷺ رغم نصحهم ودعوتهم وتتابع الآيات.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ) [سورة محمد:24]؛ ففيه استعارة مكنية بأن شبه القلوب بالصناديق المقفلة، وحذف المشبه وأبقى شيئًا من لوازمه وهو الأقفال. وجاء الموضع مصدرًا بأسلوب الاستفهام للتعجيب من عدم تدبرهم وفهمهم آيات القرآن الكريم.

وجيء بلفظ (قُلُوبٍ) نكرة للتهويل من سوء حالها، والتشنيع عليهم بشدة قسوتها. ولعل فيه تعريض بأن قلوبهم من صنف القلوب المقفلة.

وأضيفت (الأقفال) إلى ضمير القلوب للإشارة إلى اختصاصها بتلك القلوب المتعجب من قساوتها، وفي كلٍّ استعمل الكلام للتعجيب من واقعهم، والتوبيخ عليهم.

ومن مواضع تعدد الفنون البلاغية ما جاء في قوله تعالى: (وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) [سورة الزلزلة:2]، فقد جاء هذا التعبير على طريقة المجاز عقلي؛ وذلك بإسناد فعل الإخراج إليها، وهو في الأصل لله ﷻ قال صاحب روح البيان: "وهو من الإسناد المجازي، وإلا فالإلقاء والإخراج لله تعالى حقيقة". (الإستنابولي، 376/10)

ومن هنا فلعل في هذا الإسناد المجازي -أيضًا- بلاغة الحذف؛ وذلك بعدم ذكر الفاعل الحقيقي إيجازًا؛ في إشارة إلى معرفته عقلاً، واستقرار ذلك في الذهن بداهة، وأن إدراكه يقينًا مبنيًا على الاعتقاد السليم.

وفيه –أيضا– استعارة مكنية بتشبيهها بمن يعقل ويفعل –كالإنسان مثلاً– ثم حذف المشبه به وأبقى لازم من لوازمه وهو فعل الإخراج. وفيه الإشارة إلى عرصات يوم القيامة وهول الموقف يومئذ.

كما أن في هذا الإسناد مشهد تصويري بديع ماثل؛ حيث يظهر للمتدبر كيف أن الأرض في ذلك اليوم المهيل تُخرج ما بداخلها، كما يومئ هذا الإسناد وذكر لفظ (الأثقال) إلى صورة تكلف الأرض وجهدها بفعل هذا الإخراج؛ بما يرمز إلى كثرة من دفن فيها من عهد آدم إلى قيام الساعة.

ومما جاء مشتملا على فنون بلاغية كثر ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة يونس:24].

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فقد جاء فيه التشبيه المركب، حيث شبه حال الحياة الدنيا مطلقة، وبهيئتها كاملة بلا استثناء وسرعة انقضائها، وزوال نعيمها بعد إقباله وازدهارها به، شبهها بحال نبات الأرض في سرعة نباته واخضراره وانتشاره، ثم عدم بقائه وسرعة يبسه وتهشمه وتحوله إلى حطام بعد ما أورق، وأخضرّ وكثف، واشتدت سوقه، وزين الأرض بخضرته ورونقه.

وجاءت تسمية الدنيا بهذا الاسم في إشارة إلى تحقيرها، وتقليل قيمتها، وتنبيه إلى دنوها، وكمال دناءتها – إلا ما حوته من ذكر الله– وإيماء إلى علو شأن الآخرة، والترغيب بما عند الله فيها من الثواب، والنعيم الدائم والمقيم.

وفي ذكر اختلاط النبات بالماء إشارة إلى الاشتباك والتداخل. وفيه دلالة المبالغة في بيان كثرة الماء والنبات. وإشارة إلى أن ذلك المشهد ظاهر ودارج لدى الناس، وأنه غير طارئ، ولذا سهل التمثل به.

وفي هذا التشبيه –كذلك– الإشارة إلى أنه كما لم يحصل لذلك الزرع فائدة ولا عاقبة تحمد، فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد.(فخر الدين الرازي، 1420 هـ ، 236/17) وفيه إثبات حقارة الدنيا، وسرعة زوالها. وفيه –كذلك– الإشارة إلى تلونها وعدم بقائها على حال؛ فهي تتلون بأهلها؛ فما يلبث سرورها أن يضمحل ويتحول إلى حزن، كما لا يلبث عز أهلها أن يزول. وفي ذلك الإيماء إلى أنها لا تدوم على حال، وأن كل ما فيها لا بد أن يؤول إلى الفناء.

وفي إسناد فعل اختلاط النبات بالماء إلى النبات مجاز لغوي؛ حيث جعل النبات بمثابة من يعي ويفعل الاختلاط، وحذف المشبه به، على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وفي إضافة النبات إلى الأرض في قوله تعالى: (نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ) مجاز مرسل علاقته الملابسة من إسناد الشيء لمحله وأصله ومنشأه.

وفي قوله: (فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ)اتساع دلالي؛ حيث يدل الإسناد ابتداءً على اختلاط أنواع النباتات بالماء، بقرينة ضمير الغائب المفرد العائد على الماء. كما يمكن أن يومئ إلى دلالة اختلاط بعض الأنواع المختلفة من النباتات ببعض من جهة ثانية، بقرينة الباء الدالة على السببية؛ أي فاختلطت بسببه أنواع النباتات المختلفة، فتداخلت وتشابكت.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومن جميل بلاغة هذا الموضع مجيء عطف اختلاط النبات على الماء بفاء التعقيب المباشر ليدل على سرعة ظهور النبات، ويومئ إلى أن البذور قد نبتت قبل أن يجف الماء، ومن هنا يقع اختلاط النبات بالماء، ولذا أشار ابن عاشور في تفسيره إلى أن المقصود بالاختلاط هنا المجاورة؛ أي جاوره وقارنه.(ابن عاشور، 1984، 142/11)

ومما في هذا التشبيه من جهة علم المعاني –أيضًا– مجيء أسلوب الخبر فيه على خلاف مقتضى الظاهر؛ حيث جاء مصدّرًا بصيغة القصر ليؤكد معنى هذا التشبيه ومقصوده –وهو سرعة تحول جمال هذا النبات إلى حطام– فجاء مؤكدًا بأسلوب القصر ليعامل الغافلين القابعين في نعيم هذه الدنيا معاملة المنكرين لهذه الحقيقة الجاحدين لحقيقة زوالها؛ فكأنهم بغفلتهم عزموا على ترك الآخرة، وتنافسوا على حطامها وملاذّها، وبذا يكونوا كأنهم أنكروها.

ومن بديع بلاغة هذا التشبيه الطباق بين السماء والأرض، وبين الليل والنهار، وبين الناس والأنعام، وبين الماء والنبات، وكذلك التقابل بين إنزال الماء من السماء وخروج النبات من الأرض، والتقارب الدلالي بين الزخرفة والزينة وغيره ذلك.

وذكر الدرويش في إعرابه احتمال التشبيه شيئين:

آ– أنه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع.

ب– أنه شبهها بالنبات في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزيّن الأرض بخضرته ورفيفه(درويش ، 1415هـ، 231/4). وقد جعله من التشبيه المقلوب، وذلك في سياق حديثه عن الموضع المشابه في الآية الواردة في سورة الكهف؛ وإيجاز ما يُفهم من قوله أن التشبيه المقلوب يظهر عندما يكون مراد الكلام: فاختلط الماء بنبات الأرض، حيث الأصل في دلالة الاختلاط التشارك والتداخل بين الشيئين، ولكن دخل الباء على ضمير الغائب العائد على الماء، والباء في اللغة –كما ذكر– تدخل على الكثير غير الطارئ (وهو النبات)، ولكن جاء الكلام على صيغة اختلاط النبات بالماء فعكس المعنى بدخول الباء على الماء؛ بمعنى أن الماء هو الذي اختلط بالنبات، والأصل أن النبات هو الذي اختلط بالماء بسبب نزوله الطارئ؛ وغاية ذلك المبالغة في كثرة المختلِط والمختلَط به.(درويش ، 1415هـ، 619/5)

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وفي قوله: (فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ) دقائق بيانية؛ منها دلالة الفاء على سرعة اختلاط النباتات بالماء واختلاط بعض أنواعه ببعض. وفيه الكناية عن كثرة النباتات المختلطة بالماء. وكذلك فيه الكناية عن كثرة الماء. ومنه إمكانية دلالة النبات في هذا السياق على البذور التي هي أصل النبات؛ بقرينة أن نزول الماء يسبق ظهور النبات، فيسقي بذوره أولاً، ثم ينبت بعد ذلك بسببه وينمو.

ومن دلالات هذا التشبيه البديع دلالة المبالغة بذم الإقبال على نعيم الدنيا الفاني، وبالتالي الحث على عدم قصر العمل لأجلها، بما يشعر باعتقاد دوام العيش فيها. وفي المقابل هناك دلالة الإيجاز بالحذف؛ وهو أنه إذا كانت الدنيا كذلك، فإن الآخرة على النقيض منها؛ أي أن نعيم الآخرة دائم، وبذلك يكون المتلقي قد استشعر الترغيب بنعيمها، وبلغه الحث على ضرورة العمل لأجلها، واقتنع باستحقاقها جهده، ففهم ذلك من سابقه، ولم يصرح به.

ومما جاء في هذا التشبيه –أيضًا– من جهة علم المعاني الإطناب بعد الإيجاز؛ فقد ذكر التشبيه جملة بقوله: (إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ)، ثم أطنب في إيضاح وفصّل لبيان أطواره بقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ). بما يظهر بديع هذا التشبيه وتضمنه لتفصيلات متناهية في الدقة البيانية.

ومن جميل الإشارات في هذا التشبيه إيمائه إلى مراحل نمو الإنسان؛ فإنزال الماء من السماء واختلاط نبات الأرض به واشتداده وجماله وتزين الأرض به ثم إتيان أمر الله عليه ليتحول حصيدا، كل ذلك يذكّر بمراحل حياة الإنسان ومراحل نموه من الطفولة إلى الشباب والفتوة ثم بلوغه أشدة وسن الرشد ثم الشيخوخة والهرم ثم النهاية والموت، وفي ذلك يكون التماثل والتشابه في مراحله مع مراحل نمو النبات وكلٍّ يشبه مراحل الحياة الدنيا المشبهة في هذه الصورة.

ولابن عاشور تأويل فريد حول هذا التشبيه، حيث ضمنه تشبيهات عدة متفرقه؛ يمكن سردها على النحو التالي:

رأى أن إنزال الماء من السماء وما يؤمل فيه من زخرف الأرض وزينتها يشبه طور حياة الانسان وقت الصبا والأمل في نعيم العيش. وشبه اختلاط نبات الأرض بالماء وخروج الزرع بُعيد المطر وما يؤمل فيه

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

من الخير بابتداء نضارة العيش وإقبال زهرة الحياة. وجاء العطف بفاء التعقيب للإيذان بسرعة ظهور النبات عقب المطر المؤذن بسرعة نماء الحياة في أول أطوارها.(ابن عاشور، 1984، 141/11)

ولا يغيب عن كل ذي لب ما يلوح في هذا البيان من براعة الأسلوب، وحسن الصياغة، وجمال التركيب، وصحة النظم. علاوة على ما فيه من دلالات بيانية أخرى؛ كتجسيد المعنى، وإقامة الأمر المعنوي مقام الأمر المحسوس؛ فتشبيه سرعة زوال الحياة الدنيا وكل ما فيها من زينة بسرعة زوال النبات بعد ارتوائه بالماء واخضراره واكتمال نموه وتزين الأرض به أمر مهيل، يحرك العقول، ويبعث في النفوس اليقظة.

ومن الآيات التي يظهر فيها تنوع الوجوه البلاغية ما جاء في قوله تعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ) [سورة إبراهيم:18].

فقد جاء التشبيه المركب؛ حيث شبه الأمر المعنوي وهو أعمال الكفار الصالحة بالأمر المحسوس وهو الرماد الذي اشتدت به الريح في اليوم العاصف، وهو من قبيل تشبيه المركب بالمشبه به المركب المتعدد. واختير (الرماد) المشبه به لاشتماله على دلالات عديدة متنوعة لا توجد في أي مشبه به غيره؛ فهو عقيب النار، وقد سحقته النار حتى كان أشد من الدقيق سحا، وكذا هو عديم الفائدة، ومن مكروهات الأشياء، ويطير بالهواء ثم لا يكون شيئًا بعد ذلك، وشديد الضرر على العين إذا طارت به الريح.

وأومأ التشبيه إلى عظيم خسارة الذين كفروا، إذ خسروا أجر كل عمل حسن عملوه في الدنيا لأنهم بنوه على عقيدة فاسدة، إذ كانوا على ملة الشرك، وكذبوا بآيات الله ﷻ وبما جاء به الرسول ﷺ، فكان عملهم كرماد عصفته الريح فلم تبق منه شيئًا، ولم يحصلوا على شيء من تعبهم وجهدهم.

وظهر الإيجاز في هذا الأسلوب بجلاء حيث أوضح هذا التشبيه صورة مآل ومصير أعمال الكفار كاملة بالقدر القليل من الكلام، دون الحاجة إلى الإطناب، وأفهم المراد بالإشارة دون الحاجة إلى التصريح، وهذ من بديع البيان القرآني.

وجاء أسلوب التقديم في قوله تعالى: (ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ) حيث تقدم متعلق الفعل على الفاعل لإفادة توكيد اشتداد الريح بالرماد، واعتنائها به دون غيره، حتى كأنه غرض اشتدادها. وفيه الإشارة إلى فنائه، وتأكد زواله.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وجاء المجاز العقلي في قوله تعالى: (فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖ) بإسناد العصف إلى اليوم. وجعل فيه إيجاز بالحذف؛ حيث حلت الصفة محل الموصوف؛ قدره بعضهم: في يوم عاصف الريح فحذف الريح لتقدم ذكره.(الألوسي، 1415 هـ ، 193/7)

وفي وصف اليوم بالعاصف إفادة المبالغة في اشتداد الريح، واستمرارها طول اليوم. وجاءت وفي هذا التركيب إشارة إلى قبح الكفر، وعظم هلاك أهله؛ إذ لا ينفعهم معه عمل صالح، مع الإيماء بالتعجيب من سوء حال أصحابه، وقبح مآلهم.

ومن مواضع تعدد فنون البلاغة في الموضع الواحد ما جاء في قوله تعالى: (حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا) [سورة محمد:4]، ففيه استعارة مكنية بتشبيه الحرب بالمطايا ذات الأحمال والأثقال(درويش ، 1415هـ، 202/9)، وحذف المشبه به وأبقى لازمه وهو الأوزار.

ويظهر في التركيب الإشارة إلى انتهاء الحرب، وانقضائها وزوال الخطر والخوف؛ وذكر ابن عاشور أن في وضع الأوزار دلالة على انتهاء الحرب؛ فجاءت حالة انتهاء القتال مشبهة بحالة وضع المسافر لأثقاله، وعده من مبتكرات القرآن، (ابن عاشور، 1984، 82/26) وهذه تومئ إلى استعارة أخرى.

ويصلح أن يكون فيه استعارة تصريحية باستعارة الأوزار لآلات الحرب؛ فيكون قد شبه آلات الحرب بالأثقال وحذف المشبه وصرح بالمشبه به.(درويش ، 1415هـ ، 202/9)

وفيه المجاز المرسل بإسناد وضع الأوزار للحرب، وإنما الذي يضعها هم أهلها، حيث أطلق المحل وأراد الحال، فعلاقته المحلية. ومن هنا ففيه إيجاز بالحذف، حيث حذف الفاعل الحقيق إيجازًا لمعرفته من السياق.

ومن هنا ففي هذا التركيب البياني: بدائع بلاغية كثر؛ تجلى لنا منها استعارة مكنية من وجهين، واستعارة تصريحية، والإشارة، والمجاز المرسل، وكذلك بلاغة الإيجاز، علاوة على أنه من بديع مبتكرات القرآن الكريم الموجزة التي جرت مجرى المثل، فتتداول عند انتهاء أي حدث جلل، فيشبه بها على سبيل الاستعارة التمثيلية.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومن مواضع تعدد الفنون البلاغية ما جاء في قوله تعالى: (وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا) [سورة مريم:4]، ففيه مجاز عقلي بإسناد الفعل إلى غير فاعله؛ حيث أسند الاشتعال إلى الرأس، على سبيل التأول، وانتشار الشيب بإرادة الله تعالى، وهو واقع في الشعر، وليس للرأس فيه صنيع، إلا إنه مكانه، فالعلاقة فيه مكانية. وفيه استعارة تبعية مكنية تخييلية؛ حيث شبه ظهور الشيب في الرأس باشتعال النار في الحطب، وحذف المشبه به وأبقى لازمه وهو الاشتعال على سبيل الاستعارة المكنية، وهي تبعيه لأنها جاءت بالفعل (اشتعل)، والجامع بينهما السرعة في الانتشار والتدرج في الوضاءة والوضوح، وهي استعارة تخييلية؛ لأنها مبنية على التخييل.

وجيء بلفظ (شَيۡبٗا) تمييزًا لنسبة اشتعال الشيب بالرأس؛ فحصل بذلك مجاز بديع، مع خصوصية التفصيل بعد الإجمال. كما أفاد تنكير (شَيۡبٗا) دلالة التعظيم، فحصل بذلك إيجاز بديع؛ إذ الأصل في النظم المعتاد: واشتعل الشيب في شعر الرأس. (ابن عاشور، 1984، 64/16)

وفي هذا الإسناد الفريد إشارة إلى عدم القدرة على تلافي انتشار الشيب. وكذلك فيه الإيماء بالشعور بالمفاجأة بظهوره، مع لمس نبرة الحزن والتألم، للإحساس بتقدم السن، والشعور بفوات فرصة حصول الولد، والقرب من الشيء غير المرغوب فيه؛ وهو دلالة الشيب على قرب الموت، ودنو الأجل.

وفيه الإيجاز بالحذف؛ حيث حذف متعلق فعل الاشتعال الجار والمجرور (مني) الوارد في سياق الجملة التي جاءت قبله، فحذف إيجازًا واختصارًا، ولدلالة السياق عليه، والاستغناء عن إعادة ذكره لوضوح معناه وظهوره.

ومن مواضع هذا الباب ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا) [سورة الأنفال:2]، فقد تصدر التركيب بأسلوب القصر المجازي؛ حيث دل على تشبيه الصنف المنفي بأسلوب القصر بمن ليس بمؤمن، وحذف المشبه به، وذكر لازمه؛ وهو حصر الإيمان فيمن اتصف بالصفات المذكورة بعده على طريق الاستعارة المكنية.(ابن عاشور، 1984، 255/9) وتعريف لفظة (ٱلۡمُؤۡمِنُونَ) تعريف الجنس، ويفيد قصر صفة الإيمان الحقيقي الكامل على أصحاب هذه الصفات على طريق القصر الادعائي، ودل التعريف –كذلك– على المبالغة في تحقق صفة الإيمان بهم.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وجاء الإخبار بأسلوب الشرط المتكرر ذي الإيقاع الفريد، مع ما فيه من وقوع التشويق في نفس المتلقي لمعرفة جواب الشرط، وقوة أثره على النفس إذا أتى.

وفي عدم تسمية فاعل الذكر والتلاوة إيجاز بالحذف، ولعل من أغراض عدم التسمية علاوة على الإيجاز الإشارة إلى أنهم ليس المعنيان بالكلام، وأن ذكرهما لا يضيف إلى المعنى المطلوب من الآية شيئًا.

وجاء تقديم متعلق فعل التلاوة (عَلَيۡهِمۡ) على نائب الفاعل (ءَايَٰتُهُۥ)لتخصيصهم بالتلاوة عليهم دون غيرهم ممن لا يتصف بصفة الإيمان. وفي إضافة ضمير اسم الجلالة إلى الآيات تعظيم لشأنها.

وفي إسناد فعل زيادة الإيمان إلى الآيات مجاز عقلي، علاقتها السببية؛ أي أن تلاوة الآيات عليهم كان سببًا في زيادة إيمانهم، وإنما فاعل السبب والمسبب لذلك كله هو الله ﷻ.

وفي نسبة زيادة الإيمان للآيات إشارة إلى إعلاء الله ﷻ لشأن القرآن الكريم المتضمن لهذه الآيات الكريمة، حتى كأنها الفاعل الحقيقي لزيادة الإيمان.

وفيه استعارة حيث شبه الآيات التي تفعل زيادة الإيمان في المؤمنين بمن يعي ويعقل ويفعل ويزيد في الشيء وينقص على سبيل الاستعارة التبعية المكنية. وفيه تشبيه الإيمان –وهو أمر معنوي– بالشيء المحسوس الذي ترى حجم زيادته وتلمسها. وفيه إشارة إلى تصديق هؤلاء المؤمنين، وترقيهم من مقام العلم إلى مقام التيقن، علاوة على ما فيه من إشارة ثناء للمؤمنين.

ومن جماليات هذا التركيب الإيماء إلى دلالات النتائج الإيجابية لتلاوة آيات القرآن الكريم أو الاستماع إليها والإنصات لدقائقها من عظيم زيادة الإيمان، ثم الإيعاز بالإغراء إلى الاستماع للتلاوة والإنصات لها.

وفي زيادة الآيات لإيمان العبد إشارة إلى ازدياد خشيته لربه، وإقباله عليه، وطاعته له، وطلب عفوه ورضاه.

وفيه أيضًا إشارة لاستقامته، وسيره على الصواب، وطريق الخير والهدى.

ومن مواضع تعدد الفنون البلاغية ما جاء في قوله تعالى: (وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ) [سورة النحل:112].

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فقد افتتح هذا التركيب بأسلوب ضرب المثل، فاشتمل على دقائق بلاغية عميقة؛ ففي ضرب المثل تشبيه للخفي بالظاهر المتجلي، والغائب بالحاضر المشاهد، فيتجلى استحضار المشهد، ويتحقق به الوقوف على ماهيته، ويتبين مضمونه، ويتضح مكنونه، ويتم أخذ العبرة منه، ويتأكد حصول الغاية منه.

وفي إسناد الأمن والاطمئنان للقرية مجاز عقلي ومجاز مرسل؛ مجاز عقلي بإسناد حدوث الأمن والاطمئنان إلى القرية؛ فهي آمنة والأصل أنها مؤمّنة، ومطمئِنّة والأصل أنها مطمْئَنة؛ هكذا جاء سياق المجاز العقلي، وبذا تكون العلاقة فيهما المفعولية.

وأما المجاز المرسل ففي كون المتصف بالأمن والاطمئنان والمتنعم فيهما هم أهلها وساكنوها وليس القرية، فأطلق المحل وأراد الحالَّ في المحل؛ فعلاقته المحلية.

وفي إسناد الأمن والاطمئنان للقرية مجاز لغوي آخر، مفاده تشبيه القرية بمن يعقل ويعي ويشعر بالأمن والطمأنينة وحذف المشبه به وأبقى لازمًا من لوازمه وهو كونها تشعر بالأمن، وتتفيء الطمأنينة، على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله تعالى: (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا) مجاز في الإسناد أشار إلى وفرة الأرزاق التي تقصدها، والنعيم الذي ترفل فيه؛ فكأن الرزق يقصدها سائرًا إليها، في إشارة إلى عظيم نعيمهم وغزارته.

وفي مجيء فعل إتيان الرزق على صيغة المضارع إشارة إلى تكرر إتيان هذا الرزق واستمراره، فهو مستمر الإتيان غير منقطع عنهم حتى وقعوا في المحظور، وكفروا بالأنعم.

وفي إسناد إرادة الإتيان للرزق استعارة حيث يظهر فيه التشبيه له بمن يعي ويريد ويعقل، ثم حذف المشبه وأبقى قرينة إرادة الإتيان دالة عليه، على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي حصول الرزق لهذه القرية عن طريق الإتيان إشارة إلى أنه يجلب إليها من غير أرضها، فقد كفُي أهلها مؤنة إنتاجه، فلم يشقوا في الحصول على بذره ولا حرثه ولا غرسه ولا سقيه ولا حصده.

وفي إضافة الرزق إلى القرية دلالة تخصيصه بها، والإيماء إلى أن إنتاجه مخصوص بهذه القرية من أصل منشأه، وأنه ملك لها فلا ينازعها فيه أحد.

وفي تقديم الأمن على الطمأنينة إشارة لأهميته، وتأكيد لعدم حصول الطمأنينة إلا به، وتقديمهما على الرزق –أيضًا– تقديم أهمية وأولوية وترتيب، وإشارة إلى أن الرزق من العوامل المتممة والمكملة للأمن والطمأنينة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وفي مجيء لفظ الأنعم على صيغة جمع القلة إشارة إلى أن الذي أودى بنعيمهم، وأذهب ما كانوا عليه من رغد العيش كان بسبب الكفر ببعض الأنعم التي كانت لديهم وليس كلها، وفي ذلك إشارة عظة واعتبار وتنبيه لغيرهم؛ بمعنى أن الكفران بالنعم القليلة قد يؤدي إلى زوال النعم الكثيرة.

كما يظهر من جميل البيان في هذا الموضع عدة استعارات: منها أنه شبه الضرر الواقع عليهم من أثر الجوع بالطعم المر الجشع وحذف المشبه به وهو الطعم المر وأبقى القرينة الدالة عليه وهو الإذاقة على سبيل الاستعارة المكنية. كما شبه الضرر الواقع عليهم بسبب أثر الخوف بالطعم المر المكروه كسابقه؛ بجامع الإذاقة في الموضعين.

وفي تسميته لباساً عدة إشارات؛ منها: الإشارة إلى احتواء الخوف والجوع كامل أحوالهم. وفيه الإشارة إلى ظهور أثر الخوف والجوع على محياهم وعلى جسومهم، أمثال الذعر والفزع والقلق، والهزال وشحوب اللون، ورثاثة الهيئة وسوء الحال، حتى كأنه لباس ظاهر عليهم، فهو ملابس لهم.

وفي تشبيهه باللباس إشارة أخرى وهي المماسة والملاصقة؛ بمعنى أنه مسهم الجوع والخوف، وأصابهم ما يترتب عليهما، والتصق بهم، فهو كالكساء المشتمل على جسد لابسه، في دلالة على تأكيد وقوع الضرر بهم، واشتمال كل ذلك عليهم، وتمكنه منهم.

وفي هذا الموضع من البديع جوانب عديدة منها الترادف الذي يدل على التقارب في الدلالة بين كلمتي (الأمن) و(الاطمئنان) والطباق بين كلمتي (الأمن) و(الخوف)، وبين (رغد الرزق) و(الجوع)، والتلاؤم بين (الأمن) و(الاطمئنان)، وبين (الجوع) و(الخوف). ويضاف إلى ذلك ما يتجلى فيه من تلاؤم تركيبه، ولطيف عباراته، وسلاسة إسناده، وجمال رونقه، علاوة على ما فيه من قوة الأسلوب، وفخامة المعنى.

وجاء هذا التركيب معتمدًا على تكرار استعمال الأفعال الماضية؛ مثل: ضرب، كانت، فكفرت، فأذاقها، وفي ذلك إشارة إلى تحقق وقوع أحداث هذه الأفعال وتأكده.

وهكذا نجد في هذا الموضع العديد من الجوانب البلاغية والبيانية المتعددة؛ فاشتملت هذه الآية على العديد من المجازات البليغة والاستعارات الجميلة، فتضمنت استعارات أربعا؛ ففي الأولى استعيرت القرية للأهل. وجاءت الاستعارة الثانية للذوق في اللباس، وكانت الاستعارة الثالثة للباس في الجوع، وأما الرابعة فاستعارة اللباس في الخوف، وجاءت هذه الاستعارات متلائمة، فلما ذكر الأمن ورغد الرزق أردفه بمقابله الملائم من

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الجوع والخوف والإذاقة، على طريق الاستعارة المرشحة، وهي الاستعارة التي تأتي بعد الاستعارة ويكون لها بالأولى علاقة ومناسبة، (العلوي، 1423هـ ، 111/1) فترشحها وتؤكدها.

ومن مواضع تعدد الفنون البلاغية ما جاء في قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ) [سورة إبراهيم:28]، فمن الجوانب البلاغية دلالة التعجيب في هؤلاء القوم الذين كفروا بنعمة الله التي أنزلت عليهم، وكذبوا الرسول ﷺ بما جاءهم به من النصح الحثيث والإرشاد السليم، فبدلا من الاعتراف بهذه النعمة وشكرها كفروا بما جاء به وكذبوه، فوقع عليهم ما وقع من الإحلال في دار البوار.

وفي تبديل نعمة الله بالكفر استعارة بأن شبه التبديل بوضع الشيء في غير موضعه، وجعله محسوسًا؛ كتبديل الذات بالذات، (ابن عاشور، 1984، 228/13)، وذلك لإخراج الأمر المعنوي مخرج الأمر المحسوس، لبيانه وإظهاره، بينما الشكر والكفر أعمال قلبيه يُظهر اللسان منها ما يكنه القلب ويخفيه، وقد يكون صادقًا فيكون مؤمنًا، وقد يكون كاذبا فيكون منافقًا، فجاءت هذه الاستعارة المكنية التبعية لتجسيد هذا الأمر وبيانه.

وفي قوله تعالى: (أَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ) مجاز عقلي؛ حيث أسند فعل الإحلال إلى أكابرهم الذين بدلوا نعمة الله ﷻ، بينما الذي عاقبهم بذلك وأحلهم في دار البوار هو الله تعالى، فدلت علاقة المجاز العقلي السببية بإنهم تسببوا في ذلك الإحلال والعقاب.

وفي مجيء فعل الإحلال في الزمن الماضي وهو في الآخرة إشارة تأكد وقوعه، وتحقق حدوثه، إذ إحلالهم في النار في عداد الحاصل الواقع.

وفي إضافة القوم إليهم دلالة خصوصية انتمائهم إليهم، وإشارة تقبيح وتقريع لأولئك الذين كفروا وطغوا وضلوا وأضلوا قومهم، وتسببوا في هلاك أنفسهم وهلاك قومهم، وكان الأولى بهم أن يرشُدُوا ويُرشِدوا قومهم إلى طريق النجاة والفوز والفلاح. ويتبع ذلك الإيماء إلى الحذر من الوقوع بما وقعوا به، والابتعاد عن دائرته، وإحلال الشكر محله.

وجاء التعبير عن محل الهلاك وهو النار في قوله تعالى: (دَارَ ٱلۡبَوَارِ) عن طريق التكنية وعدم التصريح، في إشارة تشنيع وتفظيع لسوء مكانها، وسوء مصير من يحل فيها.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومن بديع التنوع البلاغي في الموضع الواحد ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ) [سورة القصص:4].

ففي قوله تعالى: (إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ) عدة إشارات؛ منها: الإشارة إلى بغيه وتسلطه على بني إسرائيل، وظلمهم واستعبادهم وقتلهم. ومنها: الإشارة إلى كفره بالله ﷻ وادعائه الألوهية والربوبية. ومنها: الإشارة إلى استعلائه على بني اسرائيل بملكه وسلطانه.

وفي لفظ الاستعلاء مجاز لغوي حيث شبه طغيانه وتسلطه وتمكنه من بني إسرائيل وتغلبه عليهم بمن يرتفع ويعلو في مكانه ومسكنه، ويرتقى على من حوله في مقره ومنزله، وحذف المشبه به وأبقى لازمه وهي الذات الفاعلة لهذا الاستعلاء على سبيل الاستعارة المكنية التبعية؛ فدل الكلام على إيضاح الأمر المعنوي وهو التمكن والتسلط والطغيان بالأمر الحسي وهو ارتفاع المقر والمكان على الآخرين على سبيل المزاوجة بين الحقيقة والمجاز للدلالة على المعنى وإيضاحه وبيانه.

وفي قوله تعالى: (يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ)جاء إسناد أفعال الاستضعاف والتذبيح والاستحياء إلى فرعون على سبيل المجاز العقلي؛ حيث إن فرعون لا يفعل ذلك بنفسه، وإنما هم وزراؤه وجنوده بأمره وبسببه، على سبيل المجاز العقلي لما بين الفاعلين – الحقيقي والمجازي – من علاقة وتشابه في تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالفاعل الحقيقي من حيث وقوعه، وبالفاعل المجازي من حيث إنه السبب فيه؛ فهو مجاز عقلي أسند فيه الفعل إلى غير فاعله لعلاقة السببية.

وجاء فيه من باب علم المعاني الفصل والوصل؛ حيث وصل بين الجملتين الأوليين في قوله تعالى: (إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا) لاتحاد الجملتين في الخبر، ثم فصل الجملة التي تلت في قوله: (يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ) لكونها بيان لما سبق، وتفسير له، ثم فصل تاليتها –أيضا– لأنها مفسرة لها، ثم وصل الجملة التي تلت بما قبلها لاتحادهما في الخبر (يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ)، ثم فصلت جملة التذييل عما سبقها لكمال الاتصال، ولكونها نعتًا مؤكدًا له، ومسبَّبًا عنه، مع ما في الانتقال بين الوصل والفصل في الجمل من جمال إيقاعي، وتلوين صوتي أخّاذ.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ولعل في توكيد جملة هذا الخبر بـ(أن) دلالة التعجيب من طغيان فرعون وجبروته، وبيان قبيح صنعه وتشنيعه، وإثبات وتأكيد سوء فعله، مع ما في ذلك من إشارات التهديد والوعيد.

ومما جاء فيه الإطناب بعد الإجمال؛ فبعد الافتتاح بذكر استعلاء فرعون، فصّل في بيان صفة هذا الاستعلاء وأوضحه؛ فذكر أنه جعل أهلها شيعًا لكي يستضعفهم فيضعفون، ثم يسهل عليه بعد ذلك أن يذبّح أبناءهم، ويستعبد نساءهم.

ومما جاء فيه من جميل البديع بلاغة التناسب بين استعمال الأفعال الماضية (علا، جعل)، والتناسق بين الأفعال المضارعة (يستضعف، يذبّح، يستحيي)، وكذلك جميل إيقاع تكرار الهمزة والضمير في الاسمين (أبناءهم، نساءهم).

كما يلحظ اشتمال آخر المقطع على أغلب حروف الهمس –خاصة حرف السين– بما يضفي على الكلام الرقة والعذوبة، مع ما فيه من لفت انتباه القارئ والسامع إلى ما وراء الكلام من مضامين اختيرت لأجله هذه الحروف ذات الدلالة الخاصة.

ومن مواضع تعدد الفنون البلاغية في هذا الباب ما جاء في قوله تعالى: (فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبٗا) [سورة المزمل:17]، فقد أُسنِد الفعل (يجعل) إلى ضمير (يومًا) على صيغة المجاز العقلي، والأصل أن يسند الفعل إلى الفاعل الحقيقي – وهو الله ﷻ– ولكنه أُسْنِد إلى ضمير الظرف لوجود علاقة بين الفاعلين – الحقيقي والمجازي – حيث إن تعلقه بالفاعل الحقيقي من جهة صدوره منه، وتعلقه بالفاعل المجازي (الظرف) من حيث وقوعه فيه، ولهذه تكون العلاقة زمانية.

وذكر ابن عاشور أن فيه مجازًا عقليًا آخر؛ (ابن عاشور، 1984، 275/29) ولعله يقصد إسناد قدوم الخطر المتقى إلى ذلك اليوم؛ بمعنى كيف تتقون الخطر الذي سيأتي به يوم القيامة؛ الظاهر في قوله تعالى: (فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبٗا).

وفيه الإشارة إلى شدة هول ذلك اليوم؛ وذلك بأن قد بلغ في هوله إلى حد أن يكون فيه صِغار السن شيوخًا شيبًا. وفيه –كذلك– الإيماء بالحث على الاستعداد والتأهب للقاء ذلك اليوم، والتحذير من خطره، ووجوب العمل لاتقاء ضرره.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وفيه مجيء التركيب على صيغة أسلوب الإنشاء الظاهر في الاستفهام (كيف) الذي جاء على سبيل التهديد والتعجيز والتخويف من هول ذلك اليوم، والإيماء إلى وعظ المتلقين وإرشادهم باعتبارهم قوم يخافون فيتعظون، ويرشدون فيسترشدون، فيتبعون الحق ولا يكذبون.

وفي تنكير لفظ اليوم إشارة إلى تعظيمه، وإثبات لكثرة أحداثه الجسام المخيفة، وفي وصفه بأنه يجعل الولدان شيبًا تأكيد لما فيه من أهوال وأحزان وحسرات. والشيب إيماء إلى أنه نتاج لهذا الهول.

وفيه من بديع البلاغة جمال النغم الحاصل من إتيان (يومًا) بين (كفرتهم) و(يجعل) الذي لا يتأتى إلا بهذا النظم الفريد. وكذلك الأثر الناتج عن استعمال أسلوب الشرط، وما يعطي السياق الصوتي من جرس إيقاعي خاص في صعود الصوت وهبوطه، مع ما فيه من أثر التناسب الصوتي.

ومن مواضع هذا الباب ما جاء في قوله تعالى: (يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) [سورة آل عمران:106-107]. ففيه إجمال وتفصيل وإيجاز وكناية وبديع وغير ذلك.

أما الإجمال ففي قوله تعالى: (يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ)، وأما التفصيل ففي قوله تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ).

وأما الإيجاز فهو بحذف المنعوتين بصفتي بياض الوجوه وسوادها، الذي يظهر من خلال سياق الآية، فعندما قال الله تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ)؛ فيفهم تقدير ما بعده بالقول: (وهم الكافرون، فيقال لهم:) (أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ)، ويظهر الإيجاز بالحذف -كذلك- في قوله تعالى: (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ) (وهم المؤمنون) (فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) (ابن عاشور، 1984، 44/4)

وأما الكناية فقد جاءت في بياض الوجوه عن ظهور البهجة والفرح بالفوز والفلاح وحسن الطالع، وفي سوادها عن الحسرة واشتداد الحزن والخسارة والهلاك وسوء الطالع.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وأما البديع فقد جاء في الطباق بين لفظي (تَبْيَضُّ)(وَتَسْوَدُّ). وكذلك جمال الإيقاع الناتج عن تضعيف آخر حرفي لفظي الطباق، وعن تناسب وتوازن الجملتين في التركيب، وكذلك الإيقاع الناتج عن تكرار لفظ وجوه، وفيه كذلك الإشارة إلى تجلي الحساب، وظهور النتائج والفوز أو الهلاك.

ومن جميل مواضع هذا الباب في التعبير القرآني ما جاء في قوله تعالى: (لَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ) [سورة البقرة:179]، ففيه بلاغة التعريف والتنكير ؛ فعرّف القصاص لبيان جنسه، وللعهدية؛ لسبق ذكره في موضع متقدم. ويحتمل فيه دلالة التعميم؛ أي: في عموم القصاص مما دون القتل إلى القتل. وأما تنكير الحياة فلدلالة التعظيم، أو ربما لبيان نوع الحياة؛ بأنها حياة دائمة ومستمرة لكم ولمن بعدكم ممن حقق هذه القاعدة. وفي تنكير الحياة –أيضا– إشارة تدل على أن في هذا الجنس البشري نوعا من الحياة يتميّز عن غيره، ولا يستطيع الوصف أن يبلغه، لأنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد، فتهيج الفتنة، وتستشري بينهم، ففي شرع القصاص سلامة ومنجاة من هذا كله.(درويش ، 1415هـ ، 255/1)

وفيه الإيجاز من غير حذف؛ حيث احتمل التركيب معان كثيرة في ألفاظ قليلة. وقد قارنه البلاغيون بمقولة العرب المشهورة (القتل أنفى للقتل)، وميزوا الفارق بينهما من حيث البلاغة والإيجاز وصحة التركيب، ودقة الدلالة على المراد. (القزويني، 1414هـ ، 182/3)

وفيه الطباق بين القصاص والحياة؛ بإن القصاص جاء هنا للدلالة على القتل، ومن هنا ففيه إظهار للفارق بين الضدين، والضد بالضد يعرف، ويظهر حسن الشيء بسوء ضده، ويتجلى الفارق بينهما، ثم يكون الميل والاختيار للأحسن.

وجاء لفظ القصاص للكناية عن التماثل والتعادل في الجزاء، والعوض أو التعويض، وزاد ابن عاشور بأن لفظ القصاص دل على إبطال التكايل بالدماء، وعلى إبطال قتل واحد من قبيلة القاتل إذا لم يظفروا بالقاتل.(ابن عاشور، 1984، 145/2)

ودل دخول حرف (في) على لفظ (القصاص) على الظرفية الوعائية؛ بمعنى أن القصاص ظرف للحياة، ووعاء لها، وفيه جعل نقيض الشيء منبعا له، فكأنه يحيط به تفاديا لفواته؛ (درويش ، 1415، 256/1) كاحتواء الإناء على ما بداخله.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومن هنا ففيه مجاز مرسل؛ حيث جعل ما يعدُّ سببًا في زوال الحياة وتفويتها ظرفًا لها؛ فالقصاص من القاتل يكون بقتله، فكيف يكون ذلك وعاء للحياة؟ فقيل: لأن فيه زجرًا شديدًا لكل من تسول له نفسه بالإقدام على القتل، ومن هنا يدوم كف القاتل عن القتل، فيرتفع بسبب هذا الأمر القتل عن الناس، فيكون فيه سبب لديمومة الحياة. (درويش ، 1415هـ ، 254/1)

ودل حرف الجر (في) على التعليل؛ بمعنى أنه حمل معنى السببية؛ أي أن وجود القصاص سبب في وجود الحياة. وقد جعله ابن عاشور من المجاز؛ أي من باب الاستعارة بالحرف؛ وذكر "أنه مستعار لمعنى السببية، تشبيهًا للسبب بالظرف في احتوائه على مسبباته، كاحتواء المنبع على مائه والمعدن على ترابه". (ابن عاشور، 1984، 45/25).

الخـاتمة

من المؤكد بأن مقصود تناول هذا الموضوع –الماتع والمفيد– ليس استقصاء كل المواضع التي تتعدد فيها الفنون البلاغية؛ إذ كل التعبيرات القرآنية تحمل طابع التعدد والتنوع، ولا يمكن أن تحيط بذلك الدراسات الموسعة، ولا البحوث المطولة.

ولا المقصود من هذه الدراسة تحديد كمية الفنون البلاغية المتعددة في الجملة القرآنية الواحدة؛ إذ لا طاقة لباحث –مهما أوتي من علم وقدرة– بتجليتها وحصرها كاملة؛ لأن الجملة القرآنية لا تخلو من تعدد الفنون البلاغية.

وإنما المراد من هذه الدراسة هو العلم بأن الجملة القرآنية مليئة بالفنون البلاغية المتعددة، وأن ذلك لا يتجلى للدارس إلا بعد التدبر والتمعن والتمحل، مع ما يثبت في قرارة نفس الدارس بأن ما يخبأ فيها أكثر مما يجليه العالم الحذق.

وبذلك يتضح لنا أن تعدد الفنون البلاغية في الجملة القرآنية الواحدة إنما هو من فرائد التعبيرات القرآنية التي تميز بها عن سائر التعبيرات البليغة الأخرى، من عهد الفصاحة والبلاغة الأول إلى يومنا هذا.

ولعلنا بعد استعراض بعض الجمل في التعبيرات القرآنية يتجلى لنا –فيما يظهر للباحث– اشتمال بعض الجملة القرآنية على فنين بلاغيين في الجملة الواحدة في مواضع كثيرة، فقد وجدت مواضع اجتمع فيها

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

التورية مع الكناية، والمجاز المرسل مع الاستعارة في مواضع متكررة، وكذلك مواضع أخرى اجتمع فيها الاستعارة مع الكناية، والمجاز المرسل مع البديع؛ كالطباق، وغير ذلك من تنوع الاجتماع فيما بين الفنون الأخرى.

وكذلك تم الوقوف على جمل قرآنية يظهر أنها اشتملت على ثلاثة فنون بلاغية، اجتمع في بعضها مثلاً: الاستعارة والمجاز المرسل والكناية، ومواضع أخرى اشتملت على المجاز العقلي والاستعارة والكناية، وغير ذلك.

وحينما ننتقل إلى ما اشتمل على أكثر من ثلاثة فنون بلاغية نجد أن هذا الجانب هو الغالب في أكثر الجمل القرآنية، وهو الذي لا يمكن حصر طبيعة الفنون المجتمعة؛ فنجد –مثلا– اجتماع الاستعارة مع بديع الطباق مع تعدد الكنايات والإشارات في آن واحد.

وكذلك اجتماع المجاز العقلي مع الاستعارة مع الإيجاز مع تعدد الكنايات والإشارات مع التنوع في وجود الأساليب الإنشائية والخبرية.

كما نجد اجتماع التمثيل مع المجاز العقلي مع المجاز المرسل مع تعدد الكنايات مع تنوع البديع؛ كالطباق والمبالغة والإطناب في آن واحد، وغير ذلك، مع العلم بعدم خلو الجملة القرآنية من أساليب الإنشاء أو الخبر المستعملة خلاف مقتضى الظاهر؛ كاستعمال الاستفهام للتوبيخ أو التقريع أو التقرير، وكاستعمال أساليب الخبر المختلفة.

زد على ذلك اشتمال عموم التعبير القرآني على باب آخر في إطار البلاغة؛ وهو براعة النظم المتجلية في صحة التركيب، ووضوح المراد، وقوة الدلالة، وإبداع الصياغة، وجمال الأسلوب...، إضافة إلى حلاوة الجرس؛ باشتمال بعض الكلمات على حروف ذات إيقاع صوتي مؤثر، أو بتجاور بعض الكلمات ذات النغم الصوتي الخاص، مما كان له أثر في حصول الترتيل، وجمال التلاوة، وكل ذلك في إطار التعدد والتنوع البلاغي، وقد مرت نماذج فريدة حول ذلك كثر، وهي ليست على سبيل الحصر.

وكذلك يظهر جانب آخر فريد من جوانب أسلوب البيان الرباني؛ ألا وهو التنوع في بيان المراد بين الحقيقة وبين ألوان المجاز المختلفة، وتوظيف ذلك لإيضاح المعنى المراد بدقة وعناية؛ في إشارة دقيقة إلى أن أي

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تعبير بياني لا يمكن أن يكون إلا عن طريق حقيقة أو مجاز، وفيه –كذلك– تأكيد باتساع دلالاتهما، وعظيم بيانهما، ودقيق إيضاحهما للمعنى المراد والتأثير في المتلقي لحصول المقصد من التعبير؛ كالوعظ والإرشاد المتنوع بين الترغيب والترهيب.

ورغم الجهد المبذول في طرح النماذج حول موضوع هذه الدراسة ومحاولة الوقوف على كل ما فيها من فنون بلاغية إلا أن الباحث على يقين تام بأن هذه النماذج لا تزال خصبة وثرية ومليئة بالفنون البلاغية المختلفة، وأن البيان القرآني في جميع مواضعه لا يكاد يخلو من تعدد الفنون البلاغية على اختلاف أبوابها. وهذا مما يغري الباحثين إلى خوض غمار محيط هذا الفن الجميل الماتع، والوقوف على جماليات التعدد البلاغي فيه، والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المراجع

الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى. (د.ت). *روح البيان*. دار الفكر.

الألوسي، محمود بن عبد الله. (1415). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (علي عبد الباري عطية، محقق). دار الكتب العلمية.

أبو حيان، محمد بن يوسف. (1420). *البحر المحيط* (صدقي محمد جميل، محقق). دار الفكر.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. (1415). *إعراب القرآن وبيانه* (ط.4). دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار اليمامة، دار ابن كثير.

الزمخشري، محمود بن عمرو. (1407). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل* (ط.3). دار الكتاب العربي.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1984). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية.

الرازي، محمد بن عمر. (1420). *مفاتيح الغيب* (ط.3). دار إحياء التراث العربي.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن. (1414). *الإيضاح في علوم البلاغة* (ط.3). دار الجيل.

الماوردي، علي بن محمد. (د.ت). *النكت والعيون* (السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، محقق). دار الكتب العلمية.

العلوي، يحيى بن حمزة. (1423). *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*. المكتبة العنصرية..

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

Al-Marāji‘

Al-Istānbūlī, Ismā‘īl Ḥaqqī ibn Muṣṭafá. (D. t). Rūḥ al-Bayān. Dār al-Fikr.

Al-Alūsī, Maḥmūd ibn ‘Abd Allāh. (1415). Rūḥ al-ma‘ānī fī tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm wa-al-Sab‘ al-mathānī (‘Alī ‘Abd al-Bārī ‘Aṭīyah, Muḥaqqiq). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf. (1420). al-Baḥr al-muḥīṭ (Ṣidqī Muḥammad Jamīl, Muḥaqqiq). Dār al-Fikr.

Darwīsh, Muḥyī al-Dīn ibn Aḥmad Muṣṭafá. (1415). i‘rāb al-Qur’ān wa-bayānih (Ṭ. 4). Dār al-Irshād lil-Shu’ūn al-Jāmi‘īyah, Dār al-Yamāmah, Dār Ibn Kathīr.

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Amr. (1407). al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl (Ṭ. 3). Dār al-Kitāb al-‘Arabī.

Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad. (1984). al-Taḥrīr wa-al-tanwīr. al-Dār al-Tūnisīyah.

Al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar. (1420). Mafātīḥ al-ghayb (Ṭ. 3). Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.

Al-Qazwīnī, Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān. (1414). al-Īḍāḥ fī ‘ulūm al-balāghah (Ṭ. 3). Dār al-Jīl.

Al-Māwardī, ‘Alī ibn Muḥammad. (D. t). al-Nukat wa-al-‘uyūn (al-Sayyid Ibn ‘Abd al-Maqṣūd ibn ‘Abd al-Raḥīm, Muḥaqqiq). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Al-‘Alawī, Yaḥyá ibn Ḥamzah. (1423). al-Ṭirāz li-asrār al-balāghah wa-‘ulūm ḥaqā’iq al-i‘jāz. al-Maktabah al-‘unṣurīyah.